

تفسير البحر المحيط

@ 22 @ يشعر بها . وقال تعالى : أن يكونوا من المهتدين ، أي : من الذين سبقت لهم الهداية ولم يأت التركيب أن يكونوا مهتدين ، بل جعلوا بعضاً من المهتدين ، وكونهم منهم أقل في التعظيم من أن يجرّد لهم الحكم بالهداية . .

{ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَثْنُونَ عِنْدَ اللَّهِ } في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج . وقال الآخر : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمار المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت ، فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو يوم الجمعة ، ولكنني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيما اختلفتم فيه ، فنزلت هذه الآية . وذكر ابن عطية وقوله أقوالاً آخر في سبب النزول كلها تدل على الافتخار بالسقاية والعمارة . .

وقرأ الجمهور : سقاية وعمارة وهما مصدران نحو الصيانة والوقاية وقوبلا بالذوات ، فاحتيج إلى حذف من الأول أي : أهل سقاية ، أو حذف من الثاني أي : كعمل من آمن . وقرأ ابن الزبير والباقر وأبو حيوه : سقاة الحاج ، وعمرة المسجد ، جمع ساق وجمع عامر كرام ورماء وصانع وصنعة . وقرأ ابن جبير كذلك ، إلا أنه نصب المسجد على إرادة التنوين في عمرة . وقرأ الضحاك : سقاية بضم السين ، وعمرة بني الجمع على فعال كرخل ورخال ، وطرز وطؤار ، وكان المناسب أن يكون بغير هاء ، لكنه أدخل الهاء كما دخلت في حجارة . وكانت السقاية في بني هاشم وكان العباس يتولاها ، ولما نزلت هذه الآية قال العباس : ما أراني إلا أترك السقاية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (: أقيموا عليها فهي لكم خير) وعمارة المسجد هي السدانة ، وكان في بني عبد الدار ، وشيبة وعثمان بن طلحة هما اللذان دفع إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة في ثامن يوم الفتح بعد أن طلبه العباس وعليّ ، وقال صلى الله عليه وسلم (لعثمان وشيبة : خذوها خالدة تالدة لا ينارعهما عليها إلا ظالم) يعني السدانة . ومعنى الآية : إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة . ولما نفى المساواة بينهما أوضح بقوله : والله لا يهدي القوم الظالمين ، من الراجح منهما وأن الكافرين بالله هم الظالمون ظلّموا أنفسهم بترك الإيمان بالله ، وبما جاء به الرسول ، وظلموا المسجد الحرام إذ جعله الله

متعبداً له فجعلوه متعبداً لأوثانهم . وذكر في المؤمنين إثبات الهداية لهم بقوله : {
فَاعْسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} وفي المشركين هنا نفى
الهداية بقوله : وإني يهدي القوم الظالمين . .

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ } زادت هذه الآية وضوحاً في الترجيح للمؤمنين المتصفين بهذه الأوصاف على
المشركين المفتخرين بالسقاية والعمارة ، فطهروا أنفسهم من دنس الشرك بالإيمان ، وطهروا
أبدانهم بالهجرة إلى موطن الرسول وترك ديارهم التي نشأوا عليها ، ثم بالغوا بالجهد في
سبيل الله بالمال والنفس ، المعرضين بالجهد للتلذذ . فهذه الخصال أعظم درجات البشرية ،
وأعظم هنا يسوغ أن تبقى على بابها من التفضيل ، ويكون ذلك على تقدير اعتقاد المشركين
بأن في سقايتهم وعمارتهم فضيلة ، فخطبوا على اعتقادهم . أو يكون التقدير أعظم درجة من
الذين آمنوا ولم يهاجروا ولم يجاهدوا . وقيل : أعظم ليست على بابها ، بل